المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

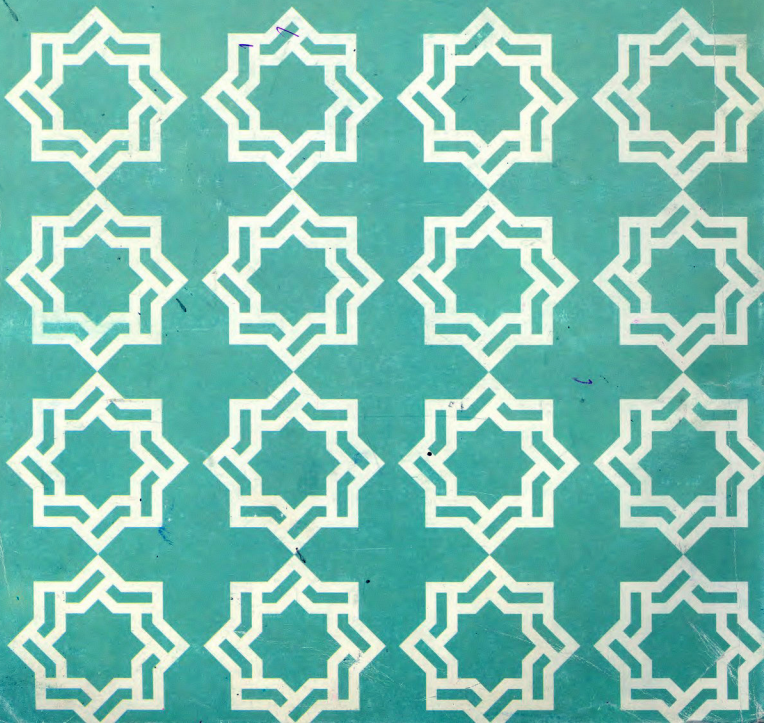

بغداد في سنة ١٨٥٣

بقلم
جيمس فيلكس جونز
ترجمة
عبدالوهاب الامين
بغداد ـ الجمهورية العراقية

القسم الثاني

من الممكن ان يقال ان ما يزيد قليلا عن ثلث ما يدعى بالساحات العامة المفتوحة ، والحدائق ، والمسورات ، والخرائب ، من بغداد القديمة ، هو الذي جرى البناء عليه في الوقت الحاضر . وهو يحتوي على خليط من السكان هم دون الستين الفا ، في حين ان منبسطها يكفي لاربعة اضعاف هذا العدد . وليس هناك في العالم كله مزيج من عناصر البشر المقدرة كما هو الحال فيها . ولا يمكن ان يسمع في مدينة اخرى ما يسمع فيها من تعدد اللغات . ويحتل السكان الاتراك ـ باعتبارهم الطبقة الحاكمة ـ المحلات الشرقية من المدينة ، في حين يتوزع السكان الاخرون بقية المحلات ، بمن فيهم من الطبقات التجارية من مسلمين ونصارى ويهود في محلات منفصلة في الاقسام المركزية من البلدة . ولا يمكن ان نجد في غير بغداد ما نجده فيها من تسامح بين جموعها . فيمكن ان ترى اليهودي والمسيحي يمتطيان صهوة الجواد ، في حين يجبر امثالهما في الاماكن الاخرى اما على السير على الاقدام ، او ركوب حمار باعتبار ان ذلك علامة على حطة المقام . وهم يتمتعون فعلا بحرية نادرة فيها قياسا على غيرها من المدن الاسلامية . واليهود هم « الصرافون » الرئيسيون ، وتستخدمهم جميع الطبقات سرا في الامور المالية في البلد ..

ويمكن تقسيم الخمسة عشر الف عائلة التي احصيت من المدينة الى ما يلي :

ـ الاتراك او من اصل تركي	٤٠٠٠
ـ الايرانيون او من اصل ايراني	٢٠٠٠
ـ اليهود	٢٠٠٠
ـ الاكراد	١٠٠٠
ـ العرب	٢٠٠٠
ـ البدو العرب والغرباء ممن يوجدون بين آونة واخرى	٢٠٠٠

واللغة الدارجة المستعملة في المدينة هي العربية الخليطة، وقد اغرق في افسادها السكان المسيحيون ، ولعلهم اشد السكان جهلا من بين الذين تضمهم اسوار بغداد . ويشيع استعمال اللغتين التركية والفارسية من قبل الطبقات التجارية وكذلك العربية . وقد تسمع بين العمال والحمالين اللغات الكردية ، والملوستانية والكلدانية . اما اللغة العبرية فلا يعرفها الا القلة من العائلات اليهودية . واللغة الارمنية لا يعرفها احد خارج الطوائف الارثوكسية الروسية من العنصر القديم . وعلى طاولة واحدة لمقيمين بريطانيين ، حيث اجتمع انكليز وفرنسيون وروس وهنود ، ثم احصاء ثلاثة عشرة لغة جرى حديث مختلط بها في غرفة واحدة .

ويمكن اعتبار جو بغداد بصورة عامة جوا صحيا . وصحيح انه في فترات الشغب وسوء الادارة ، عندما يتسرب ماء الفيضان من السدود المهملة ، قد تشيع الاوبئة في مواسم الحر الشديد من شهر مايس الى تشرين الاول . على انها ـ على كل حال ـ تنحسر امام العلاجات الاعتيادية . واولئك المتقيدون بتناول الادوية في اوقاتها ، قد يتجنبون الاصابة اصلا في اعتقادي . وليس هناك من شك في ان الاهمال هو الذي يجعل تلك الحميات خبيثة ومميتة . وتصبح الحرارة في بعض الاوقات بدرجة لا يمكن مقاومتها او السيطرة عليها تقريبا . ومع ذلك فقد دلت التجربة على ان الامراض تكون على اقلها في الصيوف الاشد حرارة ، في حين ان الامراض تكون كثيرة عندما يتحسن الجو الحار في الاراضي القاحلة بوجود مياه الفيضان التي تبعث الابخرة العفنة حقا .

وليس هناك في العالم كله ابدع من جو ما بين تشرين الاول ومايس ، فالبرد وان كان خفيفا ومنعشا ، الا انه لا يمكن ان يكون ابرع منه . وهواؤها المعتدل كان على الدوام محل اعتبار . فقد كان ملوك الفرس الاوائل حقا يفضلون السهول على حدود دجلة مكانا لاقامتهم الشتوية . وهي تقدم للمرضى من الانكليز ـ الهنود ـ سواء كانوا رياضيين او باحثين ـ من اللهو والانس ما يكون عادة مرتبطا بالتربة لا ينفك عنها .

ولا ينطبق هذا الوصف على جو القسم الجنوبي من الريف الى اكثر من مائة ميل الى جنوب المدينة . فالحميات السائدة في صيف تلك المناطق مميتة بنسبة عالية . ويصل المحرار في الشتاء عادة الى ٥٠ درجة ولكنه قد يكون في بواكير الصباح منخفضا الى درجة ٢٦ حيث يشعر به المواطنون الهنود الذين يأتون حجاجا ، ولا يرتدون الا اللباس القليل . اما في الصيف فان درجة الحرارة تتراوح بين ٩٠ الى ١١٧ ولكن الرقم الاخير نادر ، ففي العادة تكون الدرجة في اشد اوقات الحرارة في اليوم حوالي ١٠٧ ويكون البارومتر في ذلك الوقت يتراوح بين ٢٩ـ٥٦ ، حين يبقى في الشتاء ـ الا حيث تكون الرياح جنوبية ـ في ٣٠ـ١٠ . والرياح الجنوبية تكون شديدة الضيق

ونصحبها في العادة الغبار الكثيف . وتمتد بصورة عامة الى ثلاثة ايام . وتنتهي بعواصف وامطار ، تعقبها رياح شمالية غربية وسماء صافية وجو صاف بقدر ما هو منعش .

وارفق الجداول ذات العلاقة بالمدينة التي تبين انواع الحبوب والمواد الاخرى التي تتوافر في اسواق بغداد . وقد وضعها المستر ريشارد روجرز الكاتب المسؤول عن الباخرة « كوميت » الذي يمكن الاعتماد كليا على معلوماته المحلية بهذا الخصوص . واضفت اليها ميزانا مقارنا للاوزان والمكاييل مع ما يقابلها من الاوزان في الاسواق الانكليزية ، وجدولا عن النقود والاسعار في اسواق بغداد . ويجب ان لا يغيب عن البال ان الاسعار والنسب المذكورة متقلبة في بعض الاحيان بشكل محسوس ، وفي احيان اخرى بشكل بسيط ، وذلك بسبب وضع بغداد نفسها باعتبارها مدينة معزولة تعتمد بشكل كبير على جيرانها من المناطق التي تعزلها طرق صحراوية تتعرض قوافلها الى السلب والنهب . وحيث تكون تموياتها ـ بسبب انعدام النظام بصورة عامة في البلاد ـ مقطوعة بصورة كلية او محدودة في بعض الاحيان بشكل يؤثر على الاسعار بدرجة محسوسة . وسوف نجد ان الحياة فيها رخيصة بما فيه الكفاية فيما يتعلق بضروريات المعيشة ، وربما كانت تكفي لاعالة ضعف سكانها . وتموينها على وجه العموم فائض ويوجد هناك في مخازن الظلال الكفاية ، وفي حالة اشتداد الحاجة الى المزيد فمن الممكن بسهولة الحصول عليها من الموصل والزابين عن طريق النقل النهري في دجلة .

ملاحظات عامة

تنطبق على الأقليم

مما لا شك فيه ان بغداد تحتل مرتما يعد من الناحية الجغرافية والسياسية موقعا مفيدا . فوجود المدينة الحالية منذ هذه المدة الطويلة ، وبقايا المدينة القديمة ، وهذا العدد الكبير من العواصم المحيطة بها من كل جانب ، يؤكد ذلك من جميع الجهات . وشواهد العيان تؤيد تفوق هذا الاقليم في العصور الخالية وينبغي ان تدل تلك الشواهد على ان حكما جيدا يمكن اعداده لها في المستقبل ، واشير بذلك الى الاقنية التي جفت . فقد اخذت في الاصل من ذينك النهرين العظيمين دجلة والفرات ، وهي تتالق في جميع الاتجاهات في السواد (ميسو پوتاميا) وعبر جميع الاراضي التي تحيط بشرقي وغربي اي من النهرين ، في حين ان السهول التي كانت تسقيها من قبل ، ظلت مهجورة تدل على ان التاريخ لم يقم لا بتضخيم مواردها ولا باعطاء صورة بالغة التلوين لحالتها المزدهرة . ومن الممكن ايجاز القول في اسباب التدهور الحالي ببضع كلمات ، فبالرغم من ان الحكم الناشط في ايام الخلفاء الاوائل قد حافظ على الطابع ، الا انه لا شك في ان التدهور قد بدأ منذ الفتح الاسلامي . ومن الحق ان يقال ان العرب قد ورثوا الطابع من الملوك الساسانيين بحالة سليمة ، وانهم حافظوا عليه لوقت من الاوقات ولم يسمحوا له بالانحلال . ولكن طبيعتهم وطبيعة جميع العناصر التي توالت على الحكم كانت اما هدامة بالطريقة المباشرة او غير المباشرة . ومن الممكن اعتبار الاهمال الذي عرف به الحكام العثمانيون من الطراز الثاني فمنذ ان تولوا الحكم يجب ان لا نتوقع منهم العودة الى الماضي السوي ، وان كان هناك بعض المتنورين من الاتراك ممن كانوا يتذمرون من الوضع القائم ، وبدون استعدادا على الدوام لكي يتقدموا باقتراحات لخطط للتحسين والتقدم المضطرد . ولعلنا ـ حتى في حالة جديتهم ـ اميل الى اليأس من نجاحهم بالنظر لحاجتهم الى الوسائل اما من حيث المال او من حيث القدرة الفنية المطلوبة .

تمتد ولاية بغداد في الوقت الحاضر من الشواطيء الشمالية للخليج العربي امتدادا مع نهر الفرات حتى « عنه » حيث يبدأ اقليم حلب . ومن هناك يمتد خط عبر السواد (ميسوبوتاميا) الى جبال « حمرين » (حيث يعبر دجلة) ويصل شرقا بحيث يضم ولاية السليمانية في كردستان ويحيط بها شمالا بحيث يصبح حده الشرقي مع نهري « شيروان » « وديالى » حتى « خانقين » ، حيث يطوق سفح جبال زاغروس ، بضمن ذلك السهول العظيمة الى نهر « كرخا » غربي « الحويزة » ومن هناك الى الزاوية التي يشكلها ملتقى شط العرب بالمحمرة .

هذه بقعة كبيرة من الاراضي القابلة للزراعة ، تصيبها الامطار بغزارة ، تتراوح مساحتها بين خمس درجات طول وعرض ، تضم تربة ميسورة اخمنها بخمسين الف ميل مربع.

وفيما عدا بغداد نفسها لا يوجد هناك ما يستحق ان يسمى مدينة بالرغم من ان البصرة ، والقرنة ، والسماوة ، ومندلي ، وهيت ، وعنه ، وتكريت ، وسامراء ، والسليمانية ، وخانقين ، والسماوة ، والحلة ، والسيب ، وبدرة وجصان ، تحمل هذا الاسم ، فهي على كل حال المواقع الرئيسية التي يقطن فيها مجموعات من الناس في الاقليم داخل الجدران ، وان هناك قرى اخرى بائسة مبنية بالطين على ضفاف دجلة وروافدها شمالي بغداد ، وكذلك على طول الفرات جنوبي الحلة . وعلى ضفاف دجلة جنوبي العاصمة ، اذا ما استثنينا تلك القرية البائسة المسماة « بلدة الحي » على نهر « الحي » لا يوجد هناك موطن واحد . فان هذه السهول الواسعة انما هي في الحقيقة مواضع يسرح فيها البدو الذين تثير عشائرهم المتعددة الكثير من الاضطرابات للحكومة ، ويمكن ان يقال ان تلك القلاقل قائمة بصرف النظر عن جميع القوانين ما عدا تلك القوانين المتعارف عليها فيما بينهم .

واقوى هذه العشائر هم عشائر « المنتفك » الموجودة بين « السماوة » « والبصرة » ، وتمتد سلطتهم الى جنوب غربي دجلة من نهري « الحي » و « هود » . وعشائر « بني لام » الذين يقطنون الاراضي الواقعة شرقي دجلة من « كوت الامارة » الى نهر « هود » وجانب السواد (ميسوبوتاميا) من دجلة جنوب شرقي الحي امتدادا الى « السليمانية » . وعشائر « زبيدة » الذين يمتدون بين دجلة والفرات شمالي « الحي » الى قناة « الصقلاوية » جنوب ـ غربي ـ جنوبي بغداد . وعشائر « شمر طوكه » « والدفافعة » الذين يقطنون في السهول الكبيرة التي تقع جنوبي « كوت الامارة » .

ويوجد في هذه العشائر كثير من العوائل القوية ، ولكني في هذا التقرير الموجز لا املك من الوقت اكثر من ذكر اسماء اولئك الذين لا يدينون بالسلطة الى الرؤساء الحاكمين ، والذين يكونون في كثير من الحالات في حالة حرب معلنة معهم . وهؤلاء هم « البو محمد » الذين يسكنون الاهوار شمالي « القرنة » وشواطيء دجلة حتى نهر « هود » . والعرب لا يقدرونهم لانهم يعتبرون خليطا غير نقي ، كما ان حرفتهم ـ وهي رعي الجاموس ـ ومساكنهم القصبية ، تزيد في امتهانهم في نظر اولئك الذين يفخرون بانهم من دم نقي ، ومع ذلك فان « البو محمد » ليسوا قاصرين ، ولهم من القوة ـ وهم في مستنقعاتهم واهوارهم ـ ما يكفي لتحدي اولئك الذين يحتقرونهم من الارستقراطيين الذين يرفضون مصاهرتهم وان كانوا يتصلون

بفتيات قبائلهم ، وهن مشهورات جمالا وملاحة ومما يجب الاعتراف به ان « البو محمد » مكروهون . فهم ليسوا كرماء ولا شجعانا . ولكنهم عندما يكونون اقوياء يصبحون مؤذين (كذا !!) وهم أغنياء نسبيا بالمعنى المقبول لدى العرب ، يتحركون بسرعة في قوارب تسمى « المشحوف » ويقودونه بطريقة بديعة . وهم الهول الذي يصيب اولئك الذين يتاجرون عن طريق النهر بسبب قسوتهم اذا لم يجب طلبهم . واخضاعهم صعب بسبب وضعهم ، فانهم يخفون أنفسهم ـ اذا ما ضيقوا ـ في المستنقعات مختبئين بين القصب الذي يعتادونه .

ان « اهل الجزيرة » الذين يسكنون في الاراضي التي تكثر فيها الاهوار في الفرات يشابهونهم كثيرا في اسلوب حياتهم ، وفي عصبيانهم ، ولكنهم على العكس منهم يمتازون بخلق اعلى وبفضائل عربية . واذا لم يضاموا فانهم اكثر طوعية للرؤساء . ولقد عشت مدة اكثر مما كنت انوي بين هؤلاء العشائر ، وانهم يختلفون كثيرا عن جميع العشائر الاخرى في تلك المنطقة ، ومن الضروري ان يطيل المرء فيهم لكي يجلو شخصيتهم .

ولكيما يلخص المرء وضعهم بصورة عامة ، وبسبب حياتهم وعاداتهم البدوية ، فان من الممكن القول بانهم ليسوا قط تحت سيطرة الحكم التركي الا قليلا . ومن الحقيقي ان هناك نوعا من التفاهم الضمني بينهم وبين السلطة مؤداه انه طالما دفعت العشيرة ما عليها من ضريبة حسب تخمينها ، فانها لن تتعرض الى الايذاء . ويجري هذا التخمين سنويا ، ولكنه يصعب كثيرا دفع المبلغ بكامله ، والسبب في ذلك هو ان العربي يريد ان يظهر بمظهر الفقير جدا ، والحكومة تريد ـ اذا ما استوفت المبلغ ـ ان تحقق زيادة في الاتاوة في السنة القابلة . وبذلك يحصل الشقاق بين الطرفين بصورة مؤكدة في كل مرة ، اذا لم تقع حرب صريحة . وهكذا تنشأ الخلافات في العشيرة ، وتباع المشيخة لمن يدفع اعلى مبلغ ، ويبدأ الخصام الدائم الذي تداريه الحكومة باعتبارها عنصرا محايدا يعزل التجمعات التي تشيع فيها روح العصيان في جميع العصور بين هذا الشعب الذي تميز بتكوينه هذا . وذلك هو السبب ، على كل حال في افقار كلا الطرفين البلاد والشعب معا .

ان طبيعة وعادات العشائر العربية التي تقطن المنطقة التي عاصمتها بغداد ، هي نفسها كما تجري ممارستها في جميع الازمان ، فيما يتعلق بالجمهور (اي الذين لا يمتون اليهم بصلة مباشرة) من دون فروق ظاهرة . فالعربي بصورة اساسية هو عدو زميله (كذا !!) وان كان لا يخلو من ميزات . فهو في حياته الخاصة لا يميل الى رذائل اهل المدينة التي تقزز النفس ، وبخلاف ما استقر عليه الراي، فانه ضد اراقة الدماء الا في حالات اراقة الدماء من جانب الاخرين .. فهذا هو قانونه ، ومن الغريب انه هو القانون الذي يكون في الغالب المانع الذي يحول دون اقترافه جريمة القتل لخوفه من ما تجره عليه من عقابيل له ولعائلته . فالحقيقة ان « الدم للدم » له مدلول مريع في ذهنه لانه يجعله طريد عشيرته فيصبح في حالة توقع دائم ليد تطلب الثار منه . وعندما يكون العربي في حالة مسالمة ، فانه رقيق ، وكيس ، وكريم ، وحتى انه يكون مرحا في بعض الاحيان وان كان وقاره ورزانته يكذبان ذلك . فان كثيرا من تلك الرزانة مكذوب لانه يستطيع ان يكون ـ كما هو بطبيعته ـ ماكرا وخداعا. وهذا هو اسلوب حياته في الحقيقة فهو يانف ويجهل العمل ويستمد الاماني من اسلافه الذين كانت قسمتهم ان يعيشوا في اشد بقع العالم قحطا ، ولا يحلم الا بان يصبح غنيا عن طريق الاستيلاء على ما يمكن الاخرون مما حبتهم « الطبيعة » به ، فانه يمارس قوته في الحصول عليه . ولذلك فيجب ان لا يكون حكمنا عليه قاسيا لان تربيته قد فرضت عليه ان يسرق ، وان كان مما لا شك فيه ان شانه شان المخلوقات الاخرى البعيدة عن المجتمعات ، فيجب معاقبتها اذا لم تروض . فهو اذا سافته الحاجة يصبح مهتاجا ، وملحا ، وخداعا . ولكنه اذا ما عومل من قبل الاخرين بعدالة لا يخلو من القواعد المبدئية . ومن اللازم على اولئك الذين يتعاملون معه ان يكونوا حذرين مثله ، ويقظين من افعاله المضادة . وفي الحقيقة فان القول المأثور عنه وهو « لا تقبل قط صداقة انسان الا بعد ان يثبت لديك انه ليس عدوا » ينبغي ان يكون دليل كل الذين يتعاملون مع هذا الشعب وبخاصة الغرباء .

وقد تحدثت آنفا عن حكم هذا الاقليم ، وعن طريقة « الدولة ضمن الدولة » : Impisum in Impisum

التي اتبعت لاخضاع هؤلاء الذين لو اتحدوا لكان في وسعهم ان يقيموا معارضة للسلطة ، وشكل هذه الادارة في بغداد وغيرها من المدن الصغيرة يقوم على اساس « القسطنطينية » ولا يختلف الا في المدن محليا لكي يتناسب مع المتطلبات والاستعمالات عندما لا تتعارض مع القانون العام وهو « القرآن » وتفسيراته التي وضعها العلماء لما اغلق من تشريعاته . وقد انتهى الحكم الاستبدادي القديم الذي كان سائدا لسنين قريبة . ويوجد الان مجلس ادارة يترأس « الباشا » جلساته اعتياديا وينظر ويقرر في جميع الحالات . وهو مجلس مختلط من مسلمين ومسيحيين ، ولكن الاخيرين في تركيا لم يصبحوا بعد مستقلين بصورة كافية تتناسب مع وضعهم في حين ان المسلمين قد يكونون منحازين بسبب الديانة ، او بسبب الرشوة ، عندما يصدرون احكاما غير عادلة . ونقول الصدق ان امثال هذه الاعمال الجائرة في مخالفة القانون والحق ان الشكوى منها تقل في بغداد قياسا على المدن الاخرى في الامبراطورية العثمانية . وفي حكم «الباشا» الحالي (وهو محمد رشيد) لا تقع بشكل فاضح الا قليلا ، فهو يجتثها حقا رغبة منه في منفعة « الدولة » ورفع مواطنيه الاتراك في ميزان البشرية ، وهو عمل بطولي حقا ، يستحق الاطراء .

ان « الحاكم العام » في العراق ـ وقد تعلم في اوربا ـ لديه الكفاية وربما النشاط اللازم لاجراء تغيير في هذا الاقليم المهمل. ولكن من سوء الحظ انه ليس لديه معاونون ، وكل مرؤوسيه من الجهال كالاتراك ، وتصطدم محاولاته فوق ذلك غالبا مع العناد الشديد الذي عرفوا به في جبلاتهم . والامر الاخر الذي يعوقه هو الضغط الشديد على موارد تركيا بسبب الحرب الحاضرة ، لان المطلوب منه ان يمون القتال ، ولما كان المورد ضعيفا فان عليه ان يلجأ الى زيادة الضرائب على الناس .ولذلك فقد كانت الشكوى كبيرة بمقدار توقف الاصلاحات العامة . والتدابير المالية في الاقليم ـ وكذلك شرطة المدن ـ افقر من ان يكون في وسعها الاحتفاظ الا بميزان مهلهل وغير كاف . والسرقات الجريئة المتكررة ، وكذلك قلة الايرادات ، ناشئة من غياب الوسائل الفعالة لردع الاولى وجباية الثانية . وفي الواقع ليس هناك نظام ، ولما كانت مناصب الولاية ، والاراضي العامة ، ورسوم الكمارك ، ومبيعات الجملة للكثير من المواد الاساسية التجارية والغذائية ، يسيطر عليها من يدفع اعلى الاسعار للدولة من المزايدين ، فلا يمكن انتظار التقدم . فان الذين يعملون في كل اولئك بطبيعة الحال يعملون لجر اكبر المنافع لانفسهم باقل خسارة ، بصرف النظر عما يلحقه ذلك من آثار

على الافراد وعواقب وخيمة على الدولة ، وكذلك الجيش النظامي في الاقليم فانه اصغر من ان يفي بالحاجة حتى في اكثر الاوقات سلما . فالواقع ان اقل شغب جدي ينشأ في بغداد نفسها ، فان الجيش لا يستطيع الا ان يخمدها فقط ، وعندما يدفع طابع انعدام القانون لدى العشائر فيحيطون بالمدينة ، واذا اخذنا ذلك بنظر الاعتبار ، فان من العجب العجاب ان يستطيع ذلك الهيكل الواهي من الحكم ان يتماسك قط . والسر في ذلك يكمن في العناصر المقابلة من الهيئة المحكومة ، وطبيعة الرأي العام بسبب انه ابطأ من ان يكون في مقدوره تلافي الويلات المتطاولة ، فان ايثار العافية ، وذلك الكره المتاصل في الشعب لحوادث الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، قد زاد في طلب الامان ، في حين انه يفعل فعلا انعكاسيا اذا ما فكرنا في الطاقة الضرورية لاجراء التحسين . وعلى وجه العموم فيمكن القول بان السكان وادعون ، فليس هناك الا القليل من مظاهر التعصب الديني . فاليهودي والمسيحي يتلقى التسامح ويتمتع بحصانة لا يجدها في مكان اخر . والضريبة الوحيدة عليهم هي ضريبة « الخراج » وتجبى سنويا على الذكور فقط ممن هم دون الخامسة عشرة بنسب تتراوح بين عشرة شلنات وخمسةشلنات وشلنين لكل راس . وذلك يعفيهم من جميع المتطلبات الاخرى . وفي الوقت الذي يكون فيه المسلم المسكين قد فرق بينه وبين زوجته واطفاله لكي يخدم كجندي ، يمارس هؤلاء مهنهم في هدوء مع عائلاتهم ومع ذلك فهم غير راضين ، ولكن هل كان الشرقيون راضين ابدا ؟ كلا ! وفوق ذلك فان المسيحيين واليهود في تركيا - في الوقت الذي يسرقون كل الطبقات من جيرانهم - ينوحون من الاضطهاد ، ومما يؤسف له ان الذين يجهلون طبيعتهم وحقيقة وضعهم في تركيا ، يتوجعون لهم . واود ان اوكد هنا ان هناك من الكره لليهود في اوربا اكثر في الحقيقة منه فيتركيا ، وان الضغينة الخفية بين الكاثوليك والبروتستانت بارزة فيتلك الدول المتمدنة اكثر منها في ممتلكات السلطان . وليس لنا الا ان نقارن بين المسلمين وبين رفض الاسبانيين لدفن اخوانهم المسيحيين . فهنا تملك كل الطوائف المسيحية كنائسهاومقابرها. والمعاملات بين الافراد على اختلاف طوائفهم في المرافق المشتركة في الحياة تجرى بصورة اكثر لطفا من تلك التي تجرى بينالمسيحيين الذين ينتمون الى طوائف مختلفة في اوربا . والمذابح الدينية في هذا القطر امر نادر الوقوع الا في حالات الاختلافات في العقائد وحتى في حالة وقوعها ، فانها تكون السلاح السياسي الاول في يد سكان المدن الثائرين ضد الحكومة ، اكثر منها رغبة كامنة في اراقة دماء المسيحيين . وفي بعض الحالات جرت من قبل الفئات المسيحية نفسها بدافع تحدي القيود التي كانوا يعيشونها تحتها في اوقات السلم ان لم يكونوا في حرية كاملة .

ان « التنظيمات » التي اوقفت تطبيق عقوبة الاعدام في الاقاليم التي يحكمها « الباشوات » كان فعالا من جهتي الخير والشر . فمما لاشك فيه انه كان قرارا حكيما وانسانيا ان توضع تقييدات تكبح رغبات الحكام المحليين وبخاصة في الاقاليم القريبة من القسطنطينية . ولكننا نناقش ما اذا كان من قبيل السياسة ترك العقوبة التي منعت العشائر التي لا تتقيد بالقانون من النهب والسلب في جزء كبير من الامبراطورية العثمانية قريبا من العاصمة . ولقد اعتبر الشقاة في العراق هذا القانون بمثابة اعفاء لهم لارتكاب الجرائم ، كما اعتبره المطبوعون على الخير انذارا بالشر . وقد زاد الشغب ، والسرقة ، والقتل . في حين ان قطع راس او يد او رجل ، او خوزقة احد الجناة الموسومين باراقة الدماء (واني اقول الحقيقة وان كنت انكر الضرورة) تبقى طويلا في اذهان الناس في هذه الاقاليم ، ومما لا شك فيه انهناك بعض المناسبات التي تكون فيها ممارسة « الباشا » لكامل سلطته للتخلص من اشخاص يكونون بغيضين للشعب اكثر مما يكونون بغيضين له شخصيا . ولقد كان القانون في الحقيقة جارفا بحيث لا يمكن تطبيقه بسلامة كاملة ، لاننا نلاحظ المخالفين - بعد ادانتهم بقتل ابائهم او امهاتهم او غير ذلك من الجرائم المقوتة - يفلتون من الموت الذي يستحقونه . وعندما تمس الحاجة الى امثولة ، فان سجنا طويل الامد بانتظار قرار من القسطنطينية يكون ضروريا . ومن الواجب تعديل هذا القانون بالنسبةللمناطق البعيدة ، بحيث تكون العدالة الرادعة تالية للادانة فورا . ولست انكر قط ان الحجز الطويل الامد قد يكون اسوأ من الموت بالنسبة للمخالفين ، ولكن هذا النوع من العقوبة يضيع في امثال هذه الاقطار حيث لا تنفع الا المشاهدة العيانية والامثولة عن طريق العين . وفي هذا الخصوص نكون كاننا نسجن بغلا لكي نحمي الاخرين من الرفس . والراي العام هنا لم يبلغ الحد المطلوب من الرقي بحيث يفهم الدوافع الجزائية للقوانين الاوربية .

وقد كانت الرسوم الكمركية منذ سنوات عديدة في حالة هبوط لعدة اسباب اهمها فتح الطرق الشمالية لدخول البضائع المصنوعة في روسيا وانكلترة ، الى ايران واسيا الصغرى عن طريق سوريا والبحر الاسود . وفي الايام الاخيرة ايضا بسبب المشاق والتشرد الذي يكابده الزوار الايرانيون من الموظفين الاتراك عند زيارتهم الاضرحة المقدسة قرب بغداد ، مما ادى الى صدور قانون في ايران من قبل الشاه بمنع هذه الزيارات. وهذه الزيارات تجمع بين طابعها المقدس وبين مكاسبها التجارية. فكل فرد يصبح اما تاجرا او بائعا متجولا حسب امكانياته . وبذلك يتدفق النقد الايراني الى بغداد في سيل مستمر ويقوى التجارة . وقد انقطع هذا السيل بسبب امر الشاه كما ان الاضطراب في الولاية نفسها زاد في طمع التجار . على ان التجارة تحت حكم « رشيد باشا » عادت فانتعشت من جديد تدريجيا بعد ان اجاز الشاه للمتحمسين للزيارة اخيرا . وسوف نرى الاسواق في حالة ازدهار وحركة ، والرسوم تزداد . يضاف الى ذلك من الناحية السياسية ان السماح للزوار بالقدوم يسمح بزيارة البناء الذي يتم حسب اوامر الشاه .

ان غلق الطرق الشمالية في ايران واسيا الصغرى بسبب الحرب الدائرة في المناطق المحيطة بجبال « ارارات » «وقرص» ينبغي ان تكون - لمدة على الاقل - مفيدة لبغداد . فان الطلب على البضائع القادمة من ايران والاناضول ، يجب ان ينصب على الممرات التجارية الثلاثة ، وهي « حلب » و « بغداد » و « بوشهر » . ولما كانت بغداد هي الوسط ، ومع طريقها النهري في دجلة ، فانها تصبح السوق الجاهز للتموين . والرسوم التي تدفع ، على وجه العموم ، مناسبة جدا للمتجول الاوربي . وقد نظمت بموجب تعريفات ومعاهدات خاصة كانت السلطات في بغداد والبصرة تحترمها . وهذه الرسوم تقل عن خمسة بالمائة على العموم . وتكون ثلاثة بالمائة فقط عند ما تمر الاموال بالترانسيت الى اماكن اخرى . والضريبة على الصادرات من تسعة في المائة الى اثنى عشر . وهي تتالف بصورة رئيسية من جلود الجاموس ، والشحم الحيواني ، والملح ، والتمور ، والحنطة ، والشعير ، والخشب ، والخيول ، والمواد الصمغية التي تنتجها جبال كردستان . وقد كنت اتمنى ان اضيف الى ذلك مادة من الصادرات المصنوعة داخليا ، ولكني لا استطيع ان اتذكر واحدة منها وان اكتب . فهؤلاء الذين نراهم هنا وهناك يرتدون في الغالب منسوجات من

« مانشستر » ونساؤهم يتجملن بمنتوجات وغزول انكلترة . وهذه الحقيقة تبين مدى صنعة سكان هذه التربة في الوقت الحاضر ، وتتعارض بصورة حادة مع تاريخها المسجل وهو يؤكد ان المنسوجات الحريرية صدرت أول ما صدرت من انوال « بابل » .

وفيما يلي طرق القوافل من بغداد الى الاماكن التالية . وتختلف على كل حال من الوسائل المتخلفة للتنقل من الاهوار ومشاق الطرق في البلاد :

من بغداد ـ ولا تشمل التوقف ـ الى الموصل عن طريق كركوك ١٢ يوما .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف ـ الى طهران عن طريق كرمنشاه ١٨ يوما .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف ـ الى السليمانية ٧ ايام .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف ـ الى خانقين ٤ ايام .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف ـ الى دمشق ٣٠ يوما .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف ـ الى البصرة ١٤ يوم .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف ـ الى الحلة ٢ يومان .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف ـ الى عنه ٧ ايام .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف الى هيت ٤ ايام .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف الى سامراء ٤ ايام .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف الى بدرة ٥ ايام .
من بغداد ـ ولا تشمل التوقف الى شرشة ١٢ يوم .

على ان النقل النهري في جنوب بغداد اكثر استعمالا بصورة عامة .

تقرير عن النهرين

ان طبيعة النهرين العظيمين اللذين لا يزالان يمنحان الحياة لهذه البقعة من الارض يكشفهما التقرير التالي الذي اعددته بناء على طلب وزير جلالتها المفوض في القسطنطينية ، ويحتوي ـ بصورة موجزة ـ على امكانيات هذين النهرين من حيث الملاحة . وللدخول في التفصيلات الاخرى حول الموضوع يقتضينا البحث ان نتجاوز الحد الذي وضعناه والوقت الذي ليس تحت تصرفنا .

وفيما يلي نص التقرير :

سيدي اللورد

لقد تفضلتم سيادتكم بابداء رغبتكم في تقرير موجز عن الوضع الراهن لنهري دجلة والفرات .

ولذلك فاني اتشرف بتقديم الملاحظات التالية بخصوصهما .

ان نهر الفرات قد فقد نهائيا طابعه كنهر ملاحة منذ سنوات خلت ـ وذلك بسبب ان السدود التي كانت تسيطر على مياه فيضانات الربيع في القسم الاسفل منه بين « سوق الشيوخ » و « القرنة » قد جرفتها السيول قبل عشر سنوات . وفي الواقع فان امكانيات الملاحة فيه لم تكن عظيمة في اي وقت من الاوقات قط . واني اعرف ان الراي الذي بنى على تقارير حملة الفرات في سنة ١٨٣٦ كانت تميل الى اعتباره طريقا ممكنا الى الهند . ان علينا ان نضع في اذهاننا ان بواخر حملة الكولونيل (چسني) قد اجتازت المجرى خلال فترة ارتفاعه العظمى ، وفي سنة كانت مياه الفيضان فيها قد تجاوزت المستوى الاعتيادي ببضعة اقدام ، وبذلك لم تكن هناك عقبات في اثناء هبوط الماء تدل على ان شيئا منها موجود ، في حين على العكس من ذلك فان « صعود » الماء يظهر عقبات كثيرة ، منها الصناعي وغير الصناعي في مجراه . وهي معوقات للملاحة حتى في الموسم الذي يكون الماء في اعلى منسوب له . وخلال ثمانية اشهر من السنة تغلق الملاحة فيه نهائيا للسفن البخارية حتى في احسن منسوب للنهر . ثم ان طبيعة العشائر الواقعة على جانبيه يكونون مانعا جديا للاستفادة منه للاغراض التجارية . وانا على تمام اليقين من انه ـ ما لم يقع تغيير سياسي كبير في البلاد يؤدي الى ضبطهم ـ فانه لا يغني في قدرة المرور منه الا السفن البخارية الحربية الجيدة بلا معوقات تسببها قلة المياه ، وسدود الطواحين القديمة ، والالسنة الصخرية التي تعترض قاعة بين « هيت » الى الشمال حتى خط عرض « حلب » .

ان منحدرات النهر في مواسم السيول من شهر نيسان حتى حزيران لم يمكن التغلب عليها في سنة ١٨٤١ في السفينة البخارية التي كنت اقودها الا بمائتي شخص يجرون الحبال بشكل متناسق مع قوتها البخارية . واني اشك فيما اذا كانت البواخر الاقوى التي يجرى بناؤها الان يمكنها التغلب على تلك المعوقات باقل من مثل هذه المساعدة . وفي جميع الحالات فان التاخر الذي ينجم بسبب المناورات المطلوبة لهذا الغرض ، تبطل الفوائد التي يعطيها استعمال البخار .

ويمكن معرفة طبيعة النهر في مواسم الخريف والشتاء من الحقيقة الواقعة وهي ان الباخرة « نيطوريوس » قد قضت المدة بين تشرين الثاني وحزيران لكي تنزل في ذلك الموسم . وكان منسوبها ثلاثة اقدام وست بوصات ، وهو منسوب لا يزيد عن المطلب لباخرة تحمل بضائع ومسافرين وحاجتها من الوقود . وكان من الضروري في بعض الاماكن ان تزيح عنها كل ما كان عليها من مواد ، ما عدا ماكنتها ، لكي تضمن منسوبا قدره قدمان وست بوصات لكي تتفادى تلك الصخور النهرية . وبعد عدة ايام من العمل الشاق ووضع السلاسل الحديدية والمرساة ، امكن دفعها الى الامام في طريق تيار النهر .

كانت هذه هي المقدمات التي جوبهت في سنة ١٨٤١-١٨٤٢ وهي الان اكثر خطورة . وذلك لان النهر قد غير مجراه في « الحمار » جنوب « سوق الشيوخ » وضاع نهائيا في المستنقعات والاهوار الكبيرة الواقعة على جانبيه ، والتي تفيض وتغطي مساحة كبيرة من البلاد ، وتمتد الى الخليج العربي . ومنذ ذلك الحين فان السدود التي اشرنا اليها في مستهل هذا التقرير ، انهارت وغمرت البلاد ، ومست الحاجة الى نقل الحمولات بقوارب صغيرة في ذلك القسم الى « سوق الشيوخ » وهي محل تسويق شيوخ « المنتفك » . وفي الحقيقة فان التغير الذي اصاب هذا النهر البديع في السنوات الست الاخيرة ، يعزي الى الفوضى السائدة بين هذه العشائر في خلال هذه المدة ، وذلك لان اصلاح السدود قد اهمل بسبب الحروب التي نشبت بين الفئات المتخاصمة حول المشيخة .

وما دامت السلطات التركية على هذا الضعف ، فليس في وسعنا ان نتوقع اي اصلاح في هذا الخصوص . وفي كل سنة تزداد الفتوق التي جاءت بها المياه في السنة التي سبقتها . وعلى ذلك فمن اللازم اغلاقه في وجه النقل النهري بواسطة السفن الى ان يستطيع النهر ان يفتح لنفسه ممرا بمرور الزمن .

اما دجلة فانه على اي حال صالح للملاحة بشكل متفوق من البحر حتى بغداد في جميع مواسم السنة بسفن بخارية اعتيادية جدا بمنسوب قدره ثلاثة اقدام . وفي الخريف ـ عندما يكون المنسوب في ادنى حالاته ـ تنشأ بعض الصعوبة الا انه من السهل التغلب عليها بالعمل الاجمالي وبملاحظة الممرات

الصحيحه . وفي الحقيقة ليس هناك معوقات في ملاحته شمالا بسفن بخارية الى مسافة خمسمائة ميل . والعشائر علىوجه العموم اقل عنفا وابتزازا من اولئك الموجودين على الفرات ، وان كانوا في بعض الاحوال شرسين .

وعندما تتضايق القوارب التجارية في هذا الطريق ، فان ذلك في اغلب الحالات يعود الى جشع السماسرة . وفي راي ان المزيد من سياسة الاعتدال من جانب التجار انفسهم يضمن لهم مرور بضائعهم في كل الازمنة . وذلك ينطبق على الحاجة الى قوارب المكافحة بصورة اساسية ، فلن تتعرض السفن البخارية الى زيارات بهذه الكثرة من جانب العشائر السلابة على جانبي النهر .

ومن بغداد شمالا ، يمكن لقوارب بخارية قوية التاسيس وسريعة ، ان تصل الى الزاب الاعلى ، وبالمثابرة يمكن ان تصل الى الموصل بين شباط وحزيران . اما في غير ذلك من الازمنة فان دجلة لا يمكن استعماله بسبب حالة هبوط المياه .

وتفضلوا بقبول الاحترام . »

وعلى كل حال فان الفرات ودجلة كليهما يمكن ان يصبحا صالحين وان يمنحا كل ما يحتاجانه تحت حكم صالح . اما في حالهما الحاضرة فانهما يصبحان اكثر ضررا واقل نفعا سنة بعد اخرى . ودورة ارتفاع المياه العظمى تتفاوت منهايةنيسان الى الاسبوع الثالث من مايس . ويظل الفرات مرتفع منسوب الماء اكثر من دجلة وذلك بسبب كون ممراته في ارض اكثر ارتفاعا .

ومن خط عرض بغداد يتراوح منسوب ارتفاع الماء فيالنهرين بمعدل ٢٢ قدما ولكنه في بعض الاحيان يتجاوز ٢٤ قدما ، وعند ذلك تنغمر السهول وتصبح بغداد نفسها ـ بسبب قلةالاحتياطات الصحيحة ـ معزولة لفترة من الوقت في بحر من المياه . وفي اواخر تشرين الثاني تنحسر المياه الى حدها الادنى ، ويصبح الفرات الذي يكون قد كسر السدود في قسمه الاسفل بعمق الركبة اما دجلة فانه يظل صالحا للملاحة كما بينا ذلك في التقرير .

ومياه المد والجزر تؤثر في مجرى النهرين الى مسافة مائة وخمسين ميلا من البحر ، ولكنه لم يلاحظ ان مياه الفيضان ترتد عن مسارها لاخر ثلاثين ميلا من تلك المسافة ، حيث تصد التيار وذلك عندما تكون قوته غير قوية جدا . وقد لوحظ اثناء السيول ان مياه الفيضان تضعف نهائيا الا في المد والجزر في فصل الربيع حيث يصبح ارتفاع الماء وانخفاضه من سد الفاو الى البصرة بمعدل حوالي ثمانية اقدام ، ثم ينعدم نهائيا بالتدريج حتى نهر « هود » على دجلة ، وحتى « النكيب » على الفرات ، حيث يكون انتفاخ عقدتين فقط يوميا هو العلامة التي تحدد تلك الظاهرة الطبيعية . واذا اخذنا نقطة الصفر التقاء نهري دجلة والفرات ، فان عشر عقد لكل عشرين ميلا من مجرى النهر تحدد ـ على وجه التقريب ـ الارتفاع السنوي من ادنى مستوى في مختلف المناطق .

واحسن القوارب المستعملة هي تلك التي هيئت بشكلجيد للعمل ، وهي متينة البناء ولها شكل بديع وان كانت خشنة . وهي تحمل عند شحنها من اربعة اقدام ونصف القدم الى ستة اقدام انكليزية حسب الموسم . وهي وحدها التي تسير الى البصرة ، وتتسع لحمولة من ثمانين طنا الى مائة وعشرين ويكون سفرها جيدا اذا استفادت من الريح ، وقليلا ما تكونعند السفر ضد المجرى . وتستغرق السفرة من البصرة الى بغداد برجل واحد من اربعين الى ستين يوما . وقد امكن نقل بضاعة برجلين باثنين وعشرين يوما . والمسافة عن طريق النهر تقل قليلا عن خمسمائة ميل . وفي القسم الاعلى من النهر قرب بغداد يوجد نوع اخر من القوارب يسمى « السفينة » و « الطرادة » . وهما في شكلهما وبنائهما يعدان من التحف الغريبة . وهما مطليتان من الخارج بالقير طلاء تاما ، والا فان الماء يتخللهما . ولابد ان تغييرا ما لم يصبهما منذ اقدم العهود . وفي الحقيقة فان خطوطهما ليس غريبا ان تكون نفس خطوط سفينة نوح وقد تصاغرتا لكي تناسبا الحاجة الحديثة ليس الا . والسفينة تستعمل لنقل الاخشاب من الغابات القريبة لحاجة المدينة ، ولغير ذلك من الحاجات المحلية . اما الثانية وهي الطرادة فهي على الاغلب تستعمل لصيد الاسماك بالشبكة . واحسن انواع الوقود هو الذي يؤتى به الى بغداد في القواربالبصرية التجارية ، لانه لا يكون كثيرا الا في الغابات المحيطة بنهر « الكوت » « والحي » .

اما « القفة » ـ وهي سلة من الاماليد المجدولة مطلية بالقير ـ فهي المركب الاعتيادي الذي يستعمل لعبور نهر دجلة والخدمات قرب المدينة . وهي قديمة جدا لان « هيرودت » قد ذكرها ، وقد رسمت ايضا في منحوتات « نينوى » .

واختم بحثي هذا بالقائمة المرفقة على انواع الخيول المختلفة ، والانواع المعروفة جدا من فئات الحيوانات المزعنفة والطائرة التيتعود الىحيوانات«العراق البابلي» او «بلادالعرب التركية » كما يشيع تسميتها . وقد ارسلت نماذج من الاثنين الى الحكومة (الهندية) مع قليل من الحشرات . ولكن يوجد هنا من انواع الحيوانات الكبيرة الاسد ، والخنزير البري ، والضبع ، والقطة الوحشية ، وابن آوى ، وانواع الارانب ، والظباء الوحشية ، والايائل المرقطة ، بالاضافة الى الكثير جدا من الحيوانات الاليفة الاعتيادية من انواع جيدة وغير جيدة من جميع الاصناف بضمنها الجاموس والجمال . ويمكن مشاهدة النمر ، والقرد ، والدب ايضا في الجبال القريبة من كردستان . اما من انواع الزواحف والحشرات فيوجد الكثير جدا وهي كلها من النوع المضر بالانسان . والحيات ، وهي ليست متعددة الانواع ولكن فيها نوع او نوعان سامان . اما اما حيات الماء فهي كثيرة ولكنها غير مضرة . والعقارب كبيرة وسامة ، وكذلك الزنابير وذكر النحل . اما نحل العسل فقليل . والبعوض بانواعه الخمسة المتميزة . اما ذوات الخراطيم وذباب الرمال فانها كلها كثيرة العدد وذات عادات خبيثة ، ابتداء من اواخر فصل الربيع حتى منتصف الصيف ، ويتبعها عدد هائل من القمل . وهي تقلق الراحة وتنتهي في فصل الخريف . وجولة قصيرة في هذا القطر تجعل الانسان غير مبال نسبيا بها وبغيرها من مزعجات الحياة الامنية .

وهناك الكثير من الحيوانات العنكبوتية وذوات الارجل فانها كثيرة في الغابات المحيطة بالنهر . ويجد العالم المختص بالحشرات بغيته من ملايين الحشرات من انواع المغمدة الجناح والمستقيمة الجناح ، والشبكية الجناح ، وكثيرا من تلكالانواع الجميلة من الفشرية الجناح ، اذا ما اغراهن بايقاد مصباح نور في منتصف ليلة من ليالي الصيف . وقد يجد الانسان انواعا صغيرة من روبيان الماء في المستنقعات والجداول ، وانواعا قليلة من الحيوانات الرخوية . وتكثر الديدان في كثير من الحيوانات . وتمتلىء معد طائر البجع المائي فعلا بهذه الطفيليات .

ولست اعرف الكثير عن الازهار والنباتات . وان ما يجعل

جدا القطر متميزا عن غيره في هذا المضمار ، هو انه الموطن الاول للتمر . والنخلة تهيء الغذاء للانسان والحيوان على السواء ، في منطقة لولاها لهلك الانسان في اوقات الشتاء القاسية . وليس لدي المجال الكافي لتعداد الاثنين وخمسين نوعا من الانواع المدونة لهذه الشجرة النافعة . ولكن يقال إنه في اوقات ازدهار الخلافة ، كان العراق مكتظا بهذه الاشجار حتى ان المسافر في الطرق الرئيسية كان يحتمي بها من شعاع الشمس المحرقة . ولم تعد الحالة الان كما كانت في الماضي . لانه ـ فيما عدا الاحراش التي تصاقب شواطىء النهر من البحر حتى ملتقى دجلة والفرات ، ويمتد متقطعا حتى « الحلة » على الفرات ـ لا يوجد منها اي شيء الا عندما يقرب الانسان من بغداد . حيث توجد بعض الاحراش قرب المدينة مباشرة تعطي ما فيه الكفاية من الثمر الذي يعد اقل جودة من التمور المحيطة بالبصرة . وهذه الاحراش معرضة الان للتناقص بسرعة بسبب الاهمال السائد فيها . لان مياه النهر تجرفها سنويا .

والبرتقال العراقي يصل درجة الكمال في بغداد . وتنتج البساتين التفاح ، والتين ، والخوخ ، واللوز ، والعنب ، والمشمش ، والتوت ، والدراقن ، والنبق ، والرمان . واذا ما استثنينا الاخير فان جميع الانواع الاخرى اعتيادية الرائحة والنمو . اما الرمان فانه لذيذ جدا . وتكون المياه في العادة وافرة . وهناك المزيد من الرقي والبطيخ في مواسمهما . والخضر المحلية متوفرة ورخيصة . ولكن هذه المأكولات تشح الى درجة كبيرة في الشتاء . اما الاوراد العادية ـ كالروز والمنيولا ـ فانها وافرة جدا ، واما غير ذلك فنادر .

واضافة الى ما تقدم ، ارفق قائمة بالادوية التي يمكن الحصول عليها في اسواق بغداد ، واغلبها من الحشائش الموجودة حوالي البلاد ، او من منتوجات ايران واسيا الصغرى. وانا مدين للدكتور « جيمس هايسلوب » ، الجراح المدني في بغداد ، باضافة ذلك الى تقريري هذا . وعلى اولئك الذين يرغبون في المزيد من المعلومات التفصيلية عن جو العراق ، وامراضه ، وانواع الاوراد فيه ، ان يرجعوا اليه لانه يعرف الكفاية عن الموضوع ، وهو مستعد دوما لاجابة المستفسرين .

وهذا يفي تقريري الذي اعددته على عجل وذلك لان اعداد الخارطة قد استغرق اغلب المتيسر لي لاشهر خلت . ولا تسمح الشواغل الاخرى للاضافات المنسقة . وهذا هو عذري في الاخطاء والاسلوب غير المترابط فيه .

اما عن « الخارطة » فاني اعتقد انها اقرب ما تكون الى الصحة لانها كانت ثمرة ايام عديدة من العمل الشاق . وبالبداهة فان عملا كهذا لا يمكن ان يتم بدون قلق . وانا مدين فعلا الى حذق ومهارة « المستر د. كوللنجود » ـ وهو ضابط شباب في البحرية الهندية التحق بي مؤخرا ـ وقد اتبعت طريقة التثبيت بالمثلثات بالنسبة للمعالم الارضية الرئيسية . اما تفاصيل الشوارع وغيرها فقد اتبعت فيها بصورة رئيسية الاستعانة بالبوصلة الموشورية . وهذا بالضرورة قد لا يكون مضبوطا في بعض الاحايين عندما يكون الحذر طبيعة لمثل هذا العمل . واذا ما عدنا بالذاكرة الى ما يثيره اسم « بغداد » في الشرق ، والى ما اقترن بها من ذكريات طفولتنا البعيدة في الغرب فلي الحق بان آمل ان لا تذهب جهودي سدى ، وبخاصة في وقت تنصرف اليه اذهان الناس بصورة عاجلة الى الاحداث الجارية في آسيا .

الاسماك

الشبوط ـ ويزن ١٥ لبرة
الجري ـ ويزن ٥ ـ ٦ لبرات
البني ـ ويزن ٩ لبرات
الشلك ـ ويزن ٧ لبرات
البزد ـ ويزن ٦ لبرات
القطانة ـ ويزن ٧ لبرات
الاجزانة ـ ويزن ٤ لبرات
العراضة ـ ويزن ـــــــ
الشلك الصغير ـ ويزن ٣ لبرة
البـــز ـ ويزن من ٩٠ الى ١٢٠ لبرة
الكوسج ـ ويوجد على بعد ٥٠٠ ميل من دجلة
الركه والرفش ـ والاخير من خواص نهري دجلة والفرات .

الخيـــول

حصلت على القائمة التالية من انواع الخيول المختلفة ذات الدم النجدي . وهي الانواع المعروفة لدى عشائر « شمرجربة » و « العنزة » و « اللفير » ! وهي اهم العشائر التي تقطن سورية وما بين النهرين . وابرز هذه الانواع هي التي تسمى « كحيلة ام العركوب » التي تسلسلت امهاتها حسب الترتيب التالي :

صقلاوية جدران	اطويسه
صقلاوية عويبر	عبية شراي
هدية عنيزة	اطريفية
هدية البردويل	كروش
حمدانية السمري	صقلاوية ارجيبية
كحيلة النواق	اشبيب
معنگية هجرس	كحيلة ام صنه
الكبيشية	عبية الحمرة
ـ جلفة اضحوة	وذنة خراسان
ربده	الجيثنية

وكان من الصعوبة بمكان ان يحصل المرء على هذه الخيول البديعة من العشائر ، وان كانت امهاتها من امهات اقل شانا يمكن ان يحصل عليها تجار الخيول بكل سهولة . وعلى كل حال فقد كان اقتناء الخيول من الدرجة الاولى في بغداد شاقا في جميع الازمان ، لان تجار الخيول كانوا بصورة عامة يقتنونها لغرض الربح من بيعها في اسواق الهند ، واذا لم يكن الثمن المدفوع مغريا جدا ، فان اصحاب تلك الخيول لا يبيعونها منفردة لانهم يقولون ان ذلك يفسد قيمة بقية تلك الخيول .

اما الخيول التي لا اصول لها ، او التي يكون دمها ضئيلا ، فقد كان الحصول عليها ممكنا . وتتراوح اسعارها بين (٥٠) روبية و (٧٠٠) روبية ، كما كان من الممكن اقتناء البغال في المدينة. ولكن ايران هي التي تقدم النوعية المفضلة . وتتراوح اسعارها بين (١٥٠) قران و(٢٥٠) اي بين (٧٠)ـ(١٠٠) روبية . وكذلك الحمير المحلية فانها متيسرة باسعار زهيدة .

اما الجمال والنوق فانها ميسورة دائما وتباع في العادة باسعار تتراوح بين (٨٠) روبية ، وان كان بعضها من النوعية المتخلفة يباع بنصف هذا السعر او حتى بثلثه . وتلك التي تباع في ارض ما بين النهرين تستطيع حمل ما وزنه مائة رطل ولا تستطيع اجتياز المناطق الجبلية . ولكن هناك انواعا اخرى على جهات الحدود قد تعودت على الطرق الجبلية وتستطيع ان تحمل ايضا مائة رطل اخرى .

ويمكن اقتناء الامهرة من الانواع المتخلفة ، ولكن الممتازة منها يحتفظ بها اصحابها . وقد دفع « عباس باشا » خديوي مصر مبلغ الفي باون مرة في مهر من فصيلة « الجحيشية » ولكن صاحبه البدوي من عشيرة « الظفير » رفض ان يبيعه . والمعروف ان ذلك النوع من الخيول لا يوجد الا لدى تلك العشيرة .

الطيور والحيوانات الصغيرة
في العـــراق

الفرنـــوق	الـدراج	الحية الكبيرة	القمري
المفريـف	دجاج الارض	الحديـة	الفـرار
ابو الـواق	الطـويرني	الصبيحي	ابو حق ابيط
جريدي النخـل	الصوة	الباشـق	دويج الريز
الغـراب الاسـود	الكرسوع	الصـقلوق	الدحيرج
البيوضـي	الفاختـة	التوطـة	اضريوط
الزاغـة	السراطي	الهليجي	العقعق
الوسوس	الكدري	الصبارة	القطيمي
البومـة	التيبـه	القافـة	العقـاب
الطوطى (الططوة)	الغراب الابقع	دجاج المـاء	الهامة (بومة الخرائب)
التطويسـة	الصارحـة	ارخيوي	الجوشم
الطيطونـة	الهدهـد	الشبيهي	الطماسـة
الحجـل	القطـة	السميچي	الشاهينة
الشـقراق	السـديدة	القاقة الصغيرة	ابو جريدي
الطسـيلة	ابو حقب	العويدي	قطة هنداوي
اسكيلـغ	الدحروج	ابو غطيوة	الاطمجـة
امريعي	خشاف الليل	الزرزور	امديقر القطة
شجرج	البرهـان	العنازة	الدحرجة
الصـكلة	الرهيمي	بشور الصيف	حمامة الحسين
الخضيري	القنفـذ	البريجي	البـلاغة

قائمة باسـماء الادوية والعقاقير التي كانت تباع في اسواق بغداد

الاسم بالعربية	الاسم بالفارسية	المصـدر	الكمية	السعر بالقروش
افسنتين	فسنتين	ايـران	٧٢ حبة	٢
تيزاب	تيزاب	بغـداد	٧٢ حبة	١
دهن كبريت	جوهر كوكرد	الهنـد	٧٢ حبة	٣
اللوز المر	بارام تلخ	بغـداد	٣ ليرات	٤٠
اللوز الحلو	بارام شيرين	بغـداد	٣ ليرات	٤٠
الصبر	صبر	الهنـد	٣ ليرات	٨٠
الشب	زاج سفيد	ايـران	٣ ليرات	١٤
الانسون	انيسون	حـلب	٣ ليرات	٣٠
الكحـل	سورمه سنك	اوربـا	٣ ليرات	٣٠
سم الفار	سم الفار	اوربـا	٣ ليرات	٥٠
اسارون	اسارون	سـورية	٣ ليرات	٤٠
الجويفة	—	ايـران	٣ ليرات	٤٠
القرطم	خسكدانه	ايـران	٣ ليرات	١
اللبـان	حسن لبن	الهنـد	٣ ليرات	١٢٠
فوفل اسود	فوفل قرمز	الهنـد	٣ ليرات	١٢
فوفل ابيض	فوفل سفيد	الهنـد	٣ ليرات	...
حبة سودة	سياه دانه	الهنـد	٣ ليرات	١٢
كافور	كافور	الهنـد	٣ ليرات	١٦٠
الزرنوح	زرنوح	كردستان	—	٨٠
الهيـل	هيـل	الهنـد	٣ ليرات	١٢
الغزنايج	رازيانه	بغـداد	٣ ليرات	٤٠

الاسم بالعربية	الاسم بالفارسية	المصدر	الكمية	السعر بالقروش
قصب الفلوس	فلوس	الهند	٣ ليرات	٤٠
سرد الجزر	تخم كزر	بغداد	٣ ليرات	١٠
جنبد	جنبد	ايران ومصر	للحزمة	٤٠
دهن الخروع	روغن كرجك	بغداد	٣ ليرات	٤٠
الدارصيني	دارچيني	الهند	٣ ليرات	٨٠
البابونج	بابونه	ايران	٣ ليرات	١٢
الفحم	زكال	بغداد	٣ ليرات	٤٠
القرنفل	ميخك	الهند	٣ ليرات	٦٠
زهر السمك	زهرماهي	الهند	٣ ليرات	٢٠
القرمز	قرمزفرنك	اوربا	٣ ليرات	٢٦٠
عرق مرجان	ريشا مرجان	الهند	٣ ليرات	٤٠٠
صولتجان	صولنجان	مصر	—	٤٠
الحنظل	هندارنه‌ابوجهل	بغداد	٣ ليرات	٥
الزنجارة	توتياس‌كبود	الهند	٣ ليرات	٤٠
الكزبرة	كشيز	بغداد	٣ ليرات	١٠
ملح طرطير	نمك طرطير	اوربا	٣ ليرات	٥٠
بزر الخيار	تخم خيار	بغداد	٣ ليرات	٢٠
الكمون	زيره	بغداد	٣ ليرات	٤٠
بزر الريحان	تخم ريحان	بغداد	—	١٦
دم الاخوين	خون سواشان	الهند	—	١٠٠
الهندباء	كاسني	ايران	٣ ليرات	...
بزر الهندباء	تخم كاسني	ايران	٣ ليرات	٢٠
ملح افرنكي	نمكه فرنكي	اوربا	٣ ليرات	١٢٠
افوفيون	فوفيون	ايران	٣ ليرات	٤٠
باديان خطائي	باديان خطائى	الهند	٣ ليرات	٦٠
حبه	شنبايه	بغداد	٣ ليرات	٥
تين	انجير	بغداد	٣ ليرات	٢٠
قطوينا	اسفرن	ايران	٣ ليرات	١٠
عنب الثعلب	صك انكور	ايران	٣ ليرات	١٦
العفص	ماذو	كردستان	—	٢٤
راب رديند	عصاره	الهند	٣ ليرات	٦٠
الثوم	سير	بغداد	٧٢ حبة	٨
جنطيانا	جنطيانا	الهند	٣ ليرات	٤
الزنجفيل	زنجبيل	الهند	٣ ليرات	٢٠
الوشق	اشق	ايران	٣ ليرات	٢٠
الصمغ العربي	صمغ عربي	بغداد	٣ ليرات	٤٠
صمغ كردي	—	كردستان	—	١٠
كستى	—	ايران	٣ ليرات	١٤
بزر البنج	بزر البنج	ايران	٣ ليرات	٤٠
العسل	شهد	كردستان	٣ ليرات	٣٠
الزاج	زاج سياه	الهند	٣ ليرات	١٦
جيا	—	الهند	٣ ليرات	٤٠٠
العنب الاحمر	عناب	ايران	٣ ليرات	١٠
العنب الاسود	سيستان	ايران	٣ ليرات	١٠
البصل	ابهل	بغداد	—	٤٠
قاطر مكي	—	الهند	٣ ليرات	١٠٠
اللك	لاى	الهند	٣ ليرات	٣٠
الكراث	تره	بغداد	٣ ليرات	١٠
بزر الخس	تخم كاهو	بغداد	٣ ليرات	٢٠
النورة	ليك	بغداد	٣ ليرات	٤

الاسم بالعربية	الاسم بالفارسية	المصدر	الكمية	السعر بالقروش
ماء لومي	آب ليمو	بغداد	٣ ليرات	٢٠
بزر الكتان	تخم كتان	بغداد	٧٢ حبة	١٠
رب السوس	فره مهك	حلب	٣ ليرات	١
اصل السوس	ريشر مهك	بغداد	٣ ليرات	٥
قدومه	قدومه	ايران	٣ ليرات	٤٠
ورد خطمي	گل خطمي	بغداد	٣ ليرات	٢٠
بزر خطمي	تخم خطمي	بغداد	٣ ليرات	٤٠
المن	گز	ايران	٧٢ حبة	١٥٠
المصطكي	مصطكى	القسطنطينية	٣ ليرات	٢
الزئبق	سيحاب	الهند	٧٢ حبة	٣١
التكي	توت	بغداد	٣ ليرات	٣٠
المسك	مشك	ايران	٣ ليرات	٨٠
الخردل	خردل	بغداد	٣ ليرات	١٠
المرمكي	مرمكي	مكة	٣ ليرات	٦٠
النفط الاسود	نفط سياه	ايران وبغداد	٣ ليرات	١٠
النفط الابيض	نفط سفيد	ايران	الجوزة الواحدة	٥٠
الشورة	شورة	ايران	٧٢ حبة	١٠—٣٠
جوزبوه	جوربوا	الهند	٧٢ حبة	١
جوز القي	جرز القي	الهند وايران	٣ ليرات	٤
دهن اللوز	روغن بادام	بغداد	٣ ليرات	١
دهن الكتان	روغن سردي	بغداد	اونص	٤٥
دهن الزيتون	روغن زيت	بغداد	٣ ليرات	٤٠
دهن النعناع	جوهر نعنا	بغداد	٣ ليرات	٦٠
الشيرج	روغن كنجيد	بغداد	—	٤٠
ترامانتين	ترامانتابن	كردستان	٧٢ حبة	١٤
علك اللبان	علك لبان	كردستان	٣ ليرات	١٦
الافيون	ترياك	سمرنا وايران	٣ ليرات	٥
جواشير	جواشير	ايران	٣ ليرات	٦٠
فلفل اسود	فلفل سياه	الهند	٣ ليرات	٣٠
كباب صيني	كبابه چيني	الهند	٣ ليرات	٦٠
فلفل احمر	فلفل قرمز	الهند وبغداد	٣ ليرات	٣٠
النعناع	نعنا	بغداد	٣ ليرات	٢٠
ورد الرمان	گلنار فارس	بغداد	٣ ليرات	٢٠
خشخاش اسود	خشخاش سياه	ايران	٣ ليرات	٣٠
خشخاش ابيض	خشخاش سفيد	ايران	٣ ليرات	٣٠
البخاري	ابو بخاره	ايران	٣ ليرات	٣٠
بزر السفرجل	بهدانه	ايران	٣ ليرات	٢٠
البربين	خرفه	ايران	٣ ليرات	٢٠
الريوند	ريوند	ايران	٣ ليرات	٤٠٠
اكل الملك	ناخدك	بغداد	٧٢ حبة	١٠
العصفر	گل رودك	ايران	٣ ليرات	٣٠
الزعفران	زعفران	ايران	٣ ليرات	٤
السكبانج	سكبينج	الهند	—	٤٠٠
الشنادر	نوشادر	الهند	٧٢ حبة	٨٠
العشبة	عشبة	الهند	٣ ليرات	١٠٠
السقمونيا	سقمونيا	مصر	٣ ليرات	٨٠
قليا اسود	قلياس سياه	بغداد	٧٢ حبة	٦٥
قليا ابيض	قلياس سفيد	بغداد	٧٢ حبة	٦٥
سنبل الطيب	سنبل الطيب	الهند	٣ ليرات	٢
الاسفنج	ابر	الهند	٣ ليرات	٣

الاسم بالعربية	الاسم بالفارسية	المصدر	الكمية	السعر بالقروش
البابونج الرومي	بابونج رومي	الهند	٣ ليرات	٦٠
الكبريت	كوكرد	كردستان	٣ ليرات	٢٠
الفرنجميشك	فرنجميشك	ايران	٣ ليرات	٤٠
قصب الزبرة	قصب الزبره	الهند وايران	٣ ليرات	٤٠
التمر هندي	تمر	الهند	٣ ليرات	١٤
الكثيرة	كثيرا	ايران	٣ ليرات	٢٠
الكركم	زردچوبه	الهند	٣ ليرات	٢٤
الزنجبار	زنكار	حلب	٣ ليرات	٥٠٠
الخل	سركه	بغداد	٣ ليرات	١٠-١٢
ورد البنفشه	گل بنفشه	ايران	٣ ليرات	٨٠
شمع العسل	موم	كردستان	٣ ليرات	٩٠
الحرمل	اسفند	بغداد	٣ ليرات	٥
توتيا ابيض	توتيان سفيد	ايران	٧٢ حبة	٤٠

اسعار الحاجيات في اسواق بغداد مع حديهما الاعلى والادنى التقريبيين خلال العام

المواد	الكمية	السعر بالقروش
لحم البقر	٤ ليرات	٦-١٠
	ملاحظات - يتراوح سعر لحم الجاموس والجمال بين ٦-٨ للاربع ليرات	
البقسم	٢٤ لبرة	٥٥-٦٠
خبز طري	باوند	٣
بقرة صغيرة		٣٠٠-٦٠٠
زبد	٤ ليرات	٦٠-٧٠
عجل		٢٥٠-٤٠٠
موم (شموع؟)	باوند	٥٠
قهوة	١٨ لبرة	٢٠٠-٢٥٠
كاري	باوند	١٥
قيمر	٤ ليرات	٢٤-٣٠
جبن	٤ ليرات	١٢-٢٠
بط (اليف او وحشي)		١٠-١٥
البيض (الدزينة)		٦
الطحين	٢٤ لبرة	٤٦-٥٠
الدجاج (الدزينة)		١٠٠-١٢٠
السمك	٤ ليرات	٣-٦
الاوز		٣٠-٤٠
الدهن	٢٤ لبرة	١٨٠-٢٣٥
الجمال		٤٠٠-١٠٠٠
الغزلان		٦٠-١٢٠
الخردل	باوند	١٠
لحم الغنم	باوند	٤-٥
الحليب	٢٤ لبرة	٣٠-٥٠
الحمام	٢٤ لبرة	٣-٦
الدراج	٢٤ لبرة	٣-٥
الارز	٢٤ لبرة	٤٠-٧٠
الملح	٢٤ لبرة	١٢

المواد	الكمية	السعر بالقروش
الخرفان		١٠٠-١٧٠
السكر	١٨ لبرة	١٥٠-١٩٠
شحم بطن	٤ ليرات	١٢-١٦
دبس تمر	٢٤ لبرة	٦٠-٩٠
شاي ورق	باوند	٦٠-١٢٠
خضروات	٢٤ حقه	٢٤-٣٠
الخل	الغالون	١٠
الجاموس (للذبح)		٦٠٠-١٢٠٠
الاشربة(١)		
البراندي	الدزينة	٦٠٠-١٢٠٠
البيرة	الدزينة	٣٦٠-٤٩٠
الشمبانيا	الدزينة	١٢٠٠-١٦٠٠
الشيري	الدزينة	٦٠٠-١٢٠٠
عرق التمر	الغالون	٦٠٠-٧٢٠
شراب شيراز	الغالون	٦٠٠-٧٢٠
شراب كركوك	الغالون	١٢٠-١٤٠
الفواكه		
التفاح	٤ حقق	٦-١٠
المشمش	٤ حقق	٤-٦
الاترج	١٠٠	١٠٠-٢٠٠
التين	٤ ليرات	٤-٦
العنب	٤ ليرات	٦-١٢
النومي (الحلو)	٤ ليرات	٢-٥
النومي (الحامض)	٤ ليرات	٣-٨
الليمون	٤ ليرات	١٢-٢٠
تكي الشام	٤ ليرات	١٢-٢٠
تكي العراق	٤ ليرات	٤-٦
الرقي	٢٤ لبرة	٥-١٤
البطيخ	٢٤ لبرة	١٢-٢٠
الخوخ	٤ ليرات	٤-٨

(١) ليست في متناول اليد الانادرا ولا يكون توزيعها الا محدودا

المـــواد	الكميـــة	السعر بالقروش
البرتقال	للمائة الواحدة	٥٠ـ١٠٠
النارنج	للمائة الواحدة	١٥ـ٢٥
العرموط	٤ ليرات	٢٠ـ٣٠
الاجاص	٤ ليرات	٨ـ١٢
الرمان	٢٤ ليرة	٢٤ـ٤٨
السفرجل	٤ ليرات	٦ـ١٥
تمر النخيل	٢٤ ليرة	٢٤ـ٣٦

عشائر « شمر طوكه » التي تتجول بين نهر « ديالى » حتى « كوت الامارة » وبين الضفة الشرقية من دجلة الى « النهروان »

الاســـم	عدد الخيم	محـل الاقامة
الصـدعان	٣٠٠	من الكوت الى المهدي
الدلابحه	٢٠٠	من الدبوني الى زلچه
الجـابلة	١٥٠	من الزلچه الى دخاله
القفيفان	١٠٠	من دخـــاله الى كثيه
الزكوك	٦٠	من كثيه الـى تاج
المناصير	٤٠	الـــدور
الدليفية	٤٠	من الـــدور الى علج
انفاشة	٧٠	من علج الى ديالـــى
البادية	٤٠	على النهـــروان
مـروان	٤٠	على النهـــروان

وقد اصاب هذه العشيرة في الاوقات الاخيرة الكثير من التمزق بسبب النزاعات الداخلية . وقد قيل انها في الاصل فرع من عشيرة « شمر جربه » البدوية ، ولكنها فقدت استقلالها وانحطت لانها استقرت ، كما نرى ، وتعودت عادات الزراعة والرعي . وقد لحقها نعت « طوكه » ـ وهو طوق العبودية ـ للدلالة على ذلك للتمييز بينها وبين الاسم الآخر المعتد بنفسه. وهم يمتلكون حوالي (٢٠٠) بندقية ويستطيعون اعداد (٧٠٠) فارس للمعركة . وصرختهم الحربية « سنا عيس » ولديهم الكثير من الماشية .

عشائر الدور

بيت ربش	٧٠	من زوية الى زاده
بيت ابو الحسن		
بن خالـــد	٧٠	دير العاقـــول
بيت طهمـاز	٧٠	ســـــند

وعشيرة « الدور » تختلف عما مر اعلاه وان كانت تسكن المكان نفسه . وهم يعملون ـ او كانوا يعملون ـ كادلاء وسعاة للحكومة ، وبالتالي لا يدفعون جزية وانما اجيز لهم ان يجبوا من الزوارق الماخرة خمسة « شاميات » و « حلانة » تمر ، وثلاث اوقيات من البن . وهم يعبرون دجلة الى الغرب عندما تحصل لهم ترات مع « شمر طوكه » وهناك يستقرون في «شرس» و « شدهايف » . ويعتبرون من الرماة الجيدين ويعدون(٣٠٠) بندقية ، ويستطيعون اعداد (٣٠٠) فارس الى المعركة .

عشائر كوت الامارة

عشيرة كوت الامارة	١٠٠	كـوت الامارة

وهذه العشيرة الصغيرة تحتل على الدوام تقريبا جانبي دجلة حول « الحي » . ولديهم حوالي (٥٠) بندقية وبعض الاغنام ، ولكن تنقصهم الخيول والجمال كما هو الحال مع عشيرة « الدور » . وعملهم الرئيسي هو الدلالة ، ولذلك فان لديهم كمية صغيرة من الحنطة والشعير . وتمنحهم الحكومة اثنين من خيول الحمل كل سنة . ولا يدفعون جزية بل يحق لهم جباية الفوارب كما هو الحال مع « الدور » وقد كانوا في السابق ذوي اعتبار اكثر ، ولكن ذلك تناقص مع السنين من جانب « الباشوات » وهم اناس هادئون ونافعون لانهم معروفون من قبل العشائر الاخرى . وقد استخدمت « الشيخ » لسنوات عديدة كوكيل لتموين الوقود للباخرة . وقد خدمني كدليل في كثير من السفرات . وهو يعرف الكثير عن القطر . وقد كان هو وافراد عشيرته ـ وهو يميلون الينا ـ كثيري النفع في الامور المحلية البسيطة .

عشائر زبيد

المعـــامرة	١٠٠	بغدادية الى المحاويل والمسيب
آل مراد	٢٠٠	بغدادية الى المحاويل والمسيب
ابو عاطف	٢٠٠	عبدالله الى بغدادية والنيل
الدويجـات	١٠٠	برنجي الى حمانية
آل جحيش	١٥٠	شرهـــان
الدليـــم	١٥٠	اعوريج
الجلابيين	٢٠٠	مصيحات الى البغيلة
البو سلطان	٢٥٠	شوملي الى الفرات
الفراغول	١٠٠	عنادل العراق
السســيد	٢٠٠	حورية الى عفج
الشماطـة	١٠٠	بيت الشـيخ

وهذه العشائر الكبيرة تحتل ارض السواد (ميسوبوتاميا) جنوب قناة «الصقلاوية» حتى انهار «عفج» وهي عشائر رحالة ومستقرة وخليط من الزراع والسلاب . ويرعون المواشي بكثرة ولديهم الكثير من الخيول الجيدة . وشيخهم التقليدي هو « وادي » ولكنهم في الاوقات الاخيرة ـ ولسبب نزاعاتهم مع الحكومة ـ خلعوه واخذ صهره السلطة على العشيرة اسميا ، فان اغلب الاراضي شرقي وغرب الفرات ـ وبخاصة قرب « الهندية » ـ يزرعها « الشيخ » الورائي واعوانه . وقبل سنتين فقط وضع ثمن لراسه ، وهو الان اغنى مزارع في العراق. وتعد عشيرته عشيرة قوية لانها تملك (٥٠٠) حصان و(٦٠٠) من الرجال المسلحين . وهم يؤيدون الحكومة بصورة عامة ، ولكنهم تدنوا اخلاقيا بسبب امتزاجهم بالمدنية . وصرختهم الحربية « جحايش » ورؤساؤهم من بيت « عبدالله » وهو رئيس ذو شهرة واسم عظيم ، لانه من سلالة « حمير » من عرب اليمن . ويتخذ « وادي عبدالله » الشيخ الورائي للعشيرة اسلوب « عبدالله » نفسه في بيته . وهؤلاء الذين ينتمون الى هذا البيت يعدون الان اربعين بيتا . وعندما يريد افراد العشيرة القسم في حالات غير اعتيادية ، فانهم يقسمون برأس « عبدالله » باعتباره قسما يدين ضمائرهم اكثر وبلا تحفظ . وفي الواقع كانت العقوبة في الماضي للحنث بهذا اليمين، او اطلاقة بدون قصد البربه مقدما ، هو الموت . غير ان التدهور الخلقي اخذ يعترض جميع قوانين العشائر .

المعامـرة	١٥٠	بعشيه
الدويجات	٢٠٠	ريسيه شرقي دجلة
ابو خضـير	١٠٠	بعشيه
بني مجبل	١٠٠	رحمانيه

وهم اغنياء بالماشية والرعي والخيول الاصيلة والجمال ويجمعون بين طبيعتي العشائر المحاربة والمستقرة . وفي ايـــام السلم يزرعون اراضي واسعة تحت حماية عشائر « زبيد » .

بني زيد	١٠٠	مع شيخ زبيد
البو بدران	٧٠	اسـكندرية

والعشيرة الاولى يكفرون خيمة الشـيخ بصورة عامـة . وهم اصحاب جمال ويدفعون جزية قدرها (١٠٠٠) شامي سنويا. اما العشيرة الاخرى فهم مزارعون ولديهم ايضا بعض الخيالـة والرجالة ويستطيعون الذهاب الى الحرب .

الحكارصـــة	٢٠٠	نفـــر
السـويد	٢٠٠	نفـــر
اسـعده	٢٠٠	نفـــر والمشراق

وهي عشائر من اصل بدوي . وهم معروفون بالرمايـة والتسديد والفروسية . ويستطيعون ان يعدوا (٥٠٠٠)كمايقال. وشيخهم هو « عزيز قايم ابن شيهان » .

عشاير رفيع	٤٠٠	من الشوملي الى الحي

وتصنف مع عشائر البدو كما هو شان العشيرتين السابقتين ويعدون (٣٠٠) من الرماة ، ويدعون امتلاك بعض البنادق.وفيما عدا الجمال فانهم يفتقرون للماشية . وعدد جمالهم (٢٠٠٠) راس .

عشائر العمارة

الدويجات	١٠٠	من اليساهيين الى الحي
العطاطفة	١٠٠	من اوده الى الحي
آل عايد	١٥٠	من الحويش الى الرومية
البو غربي	١٠٠	من الرومية الى ازنيبار
الطبجية	٥٠	من ازنيبار الى البدايع
البو عطية	١٠٠	من البدايع الى العبادية
الفانات	٥٠	من العبادية الى الزيخ
والد بركة	٣٠	من الزيخ الى بيشار
البريصات	١٠٠	اليوسفية
ابو عميرة	١٠٠	حـيرام
الروبعين	١٠٠	ام البني
البو الآحه	١٠٠	النفيسية
والد فرج	٥٠	ابو احمـر
الحماس	١٠٠	ابو زفـر

وهذه العشيرة كانت الى ثلاثين سنة خلت ، احـدى اقوى عشائر العراق ، تتمتع بالسلطة التامة شمالي وجنوبي « نهر الحي » وتتحدى الحكومة في كثير من الاحيـان بجبايـة « الخاوة » من جميع ما حولها . على ان ازدياد قوة « المنتفك » تحت حكم « داود باشا » و « علي باشا » قد خضد شوكتهم . وهم الان لا يثيرون الا القليل من الازعاج . واخر شيوخهم هو « درويش الامير » وهم يعتزون باللقب الاخير . ويمتلكون حوالي (٥٠٠) بندقية ، وبعض الخيول الجيدة ، والكثير من الجمال ، والماشية ، والبقر . وصيحتهم الحربية « اخوة سعدة » .

مياح بيت ناصر	٢٠٠	السـديفة
آل كـريم	٢٠٠	شمال السـديفة
آل رمحـة	١٠٠	آل عابد
آل زايد	١٠٠	بدعـة ارحمة

جدول يبين نسبة الاثقال والاوزان المستعملة في أسواق بغداد قياساً على الاثقال والاوزان الانكليزية

في اعداد هذا الجدول اسقطت نسبة من الوحدات بالنظر لصعوبة الحصول على موازين صحيحة في بغداد ، غير ان تلك التي تم انتقاؤها لهذا الغـرض جميعهـا تحمـل العـلامات الحكوميـة .

الوزن البقالي :

وبهذا الوزن يبيع اصحاب الدكاكين والبياعون اللحم ، والخبز ، والخضروات ، ومنتوجات الالبان وجميع حاجيات الاستهلاك المنزلي :

وقية بقالي	=	لبرة واحدة
من بقـالي	=	٢٤ لبرة
وزنة بقالي	=	٩٦ لبرة

ملحوظة :

ان « الوزنة » المستعملة في « خان الميوه » لبيع الفواكه والدهن الى الشارين بالجملة تحتوي على (٥) امنان بقاليـة وتساوي (١٢٠) لبرة .وعلى ذلك فان باعة المفرد يبيعونهـا بالوزنة البقالية ذات (٩٦) لبرة .

الوزن العطاري :

وبهذا الوزن تباع المواد العطارية ، والادوية ، والتبغ ، والحلويات ، والشموع ، والخردق ، والحبال ، والصابون ، والصمغ ، والمسحوقات .

وعند بيع هذه المواد يبيع صانعوها بالوزن الذي يكون فيه « المن العطاري » مساويا لخمسة وعشرين لبرة . ويبيع البائعون بالمفرد بالمن العطاري الذي يوازي (١٩) لبرة ، كما يبيع اصحاب الدكاكين بالمن العطاري الذي يوازي (١٨) لبرة ، فيمكن اعتبار الوزن الاخير هو الوزن المتعارف عليه كمقياس ، وتكون نسبه كالآتي :

وقية عطاري	=	١٢ (اوز)
حقة عطاري	=	٣ لبرات
من عطاري	=	١٨ لبرة
وزنة عطاري	=	٣٠ من او قنطار واحد ويساوي ٤٥٠ لبرة.

ملحوظة :

ان « قنطار » القسطنطينية يحتوي على ٧ امنان ذات (٢٠) لبرة ، وعلى ذلك فانه يساوي (١٤٠) لبرة .

وزن العلوة :

٥ امنـان	=	وزنة علوة
٢٠ وزنة علوة	=	تفار علوة او (٢٥٦٠)لبرة

وزن الجواهر :

ويستعمل في بيع وشراء الذهب ، والفضة ، واللؤلؤ . والاخير يباع في بعض الاحيان بالمثقال الايراني الذي يوازي (٢٢) حبة فقط . اما الاحجار الكريمة فتباع بالقيراط . وكل قيراط

يساوي (٢٤) حبة او مثقالا واحدا (اي ٧٢،٢٨١٢٥ حبةطروادة) ومائة مثقال تساوي (چيكي) او (١٢٥ ، ٧٢٢٨) حبـــة طروادة .

ذراع الخام والچوخ :

يستعمل ذراع « حلب » وهو يوازي اليارد ، في بيـــع وشراء الاقمشة ، والحرير ، والبياضات والمنسوجات القطنية المستوردة الى بغداد ، وهو يوازي (٢٧) عقدة .

اما ذراع بغداد ـ وهو يوازي (٣٢) عقدة ـ فانه يستعمـل في بيع الثياب المنشـــاة وغير المنشـاة والبياضات القرويـة ، والبياضات المصنوعة من « رابزون » او « ارضروم » وكذلك البضائع القطنية المصنوعة في البلاد .

اما ذراع « الشاه » وهو الذراع الايراني فانه يوازي (٤٠) عقدة ويستعمل عند بيع البضائع الى الايرانيين .

المسكوكات التي كانت متداولة في اسـواق بغـداد

ان جميع المسكوكات التي سـيلي بيانها متـداولة في « البشالك » ولكن اكثرها تداولا هو الذي يعود الى « شـاه محمد قران » ويليها اهميته في التداول المحلي هو « الشامي » وبخاصة لدي القبائل الدبية جنوبي بغداد ، وهم يفضلونها على كل المسكوكات الاخرى . وعندما احيلت هذه الدراهم الى مـا يماثلها في القيمة من الروبيات جرى اتخاذ القرش اساسا للقيمة باعتبار ان (٢١) قرشا يساوي «شاه قران» واحد ، وان (٢٠٩) من « الشاه قران » يساوي (١٠٠) روبية . وعلى ذلـك جرى قياس العملات الاخرى . على ان جميع الحسابات التي كـان التجار يمسكونها ، كانت تجرى على اساس « البشاير » التي تعد ب « القمري » .

المسكوكات الذهبية التركية

الاســـم	القيمةبالقروش	يعادلها بالربيات
الليرة ـ المجيدي	٤٣٠	٨٫٨٢٠ ـ ٩٫١٤
الجهـــادي	٣٤٠	١١٫١٦٠ ـ ٧٫١١
نصف جهادي	١٢٠	٨٫٨٨٩ ـ ٢٫١١
اسلامبولي عتيق	١٥٠	٨٫١٠٠ ـ ٣٫٦
اسلامبولي مصطفى	١٤٠	٠٫٣٦٠ ـ ٣٫٣
اسلامبولي سليمي	١٢٠	٨٫٨٨٠ ـ ٢٫١١
عادي عتيق	٩٥	٧٫٥٣٠ ـ ٢٫٢
عادي خيري	٨٤	٧٫٤١٦ ـ ١٫١٤
نصف غازي خيري	٤٢	٣٫٧٠٨ ـ ١٫١٥
ربع غازي خيري	٢١	٧٫٨٥٤
نصف غازي عتيق	٤٧½	٣٫٧٦٥
عادي مكرر	٨٠	١٫٩٢٠
عادي صايغ	٧٠	٦٫١٨٠
ربعية مزنجلة	٣٩	٢٫٥٨٠
ربعية سادة	٣٨	١٠٫٢١٢
مصر مصطفى	١٢٠	٨٫٨٨٠
مصر سليمي	١٠٥	٣٫٢٧٠
فندق عتيق	٢٠٠	١٠٫٨٠٠
فندق جديد	١٦٠	٣٫٨٤٠

الفلوس التركية الفضية

مجيدي كبير	٨٠	١٫٩٢٠
نصف مجيدي	٤٠	٦٫٩٦٠
ربع مجيدي كبير	٢٠	٣٫٤٨٠
مجيدي صغير	٨	١٠٫٩٩٢
قمري بيشلغ	٢٠	٣٫٤٨٠
شوشي	٥٦	٤٫٩٤٠
بيشلك عتيق	٧٢	٤٫٩٣٠
اوغلـو	٤٥	٤٫٩٢٨
شـامي	٣٤	٢٫٧١٦
ممـدوحي	٢٤	٨٫٩٧٦
نصف ممدوحي	١٢	٤٫٤٨٨
ربع ممدوحي	٦	٢٫٢٤٤
ناقشلي	١١½	٢٫٣٠١

فلوســ فضية خـردة

وهي تضم قطعا ذوات اربع قروش ، وقرشين وقرش واحد

الفلوس :

وهي قطع صغيرة اصابها التغيير مؤخـرا فاصبحت من (٤) الى (١٦) قرش « ريجي » . وفي الوقت الحاضر يساوي كل (٣٣٦) قطعة منها قرانا واحدا .

نقود ذهبية اجنبية

	القيمة بفلس الريجي	يقابلها بالربيات
دبلون	١٦٠٠	٢٫٤٠٠ ـ ٧
الليرة الانكليزية	٤٥٠	٣٠٠٫ـ
همه يادروس	٨٫٣٧٠	١٠٫٣٨٠ ـ ٦ (١)
تومان عجم	٤٫٢٠٨	٩٫٧٩٢
مجـــر	٢١٤	٣٫٢٨٨
يلدوز	٢٢٥٫٥	١٠٫١٥٠
سورتي	ـ٫٢٢٠	١٠٫٨٠٠

نقود فضية اجنبية

ريـال	٩٩	وهو دولار اسباني
ابو طوبه	٩٤	نقد فرنسي بخمس فرنكات
ابو لطخـه	٩٤	وهو « كرادن » الماني
منـاط	٧٠	روســـي
نصفه	٣٥	
ربع مناط	١٧½	روســـي
خمســه	١٤	
قران محمد شاه	٢١	
قران طنكير	١٧	

(١) لدى الرجوع الى كتاب المرحوم انستاس الكرملي عن النقود المستعملة في العراق في ذلك لم نجد ذكرا لهذا النقد ولعله محرف عن «همايون روس» الذي يطابق الترجمة الانكليزية لهذا النقد من اصل الكتاب . (المترجم).